# أثر الأقوال التفسيرية عند الإمام الدّاني في الوقف القبيح، ووقف المُعانقة

علاء محمد عبد المنعم صالح (*)

**مقدمة:**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد نزل القرآنُ بلسانٍ عربيٍ مبين، لم تَشُبْهُ عُجْمَةٌ، ولم يُكَدِّرْهُ لبسٌ، عجز بلغاءُ العربِ وفصحاؤهم عن الإتيان بمثله، سِرُّهُ في يسرِه، وإعجازُه في وفائِه، فأذعن البلغاءُ لبلاغتِه، وركن الحكماءُ إلى حكمتِه، وأدهشَتْ علماءَ التشريعِ أحكامُه. ما أقبلت عليه أُمَّةٌ تلاوةً وعملًا فذَلَّتْ، ولا أدبرت عنه أمَّةٌ فعزَّتْ، ولو ابتغت في الأرض نفقًا، أو اتخذت في السماء سُلَّمًا. أقبل عليه العلماء منذ نزل يتدبرون آياته، ويستنبطون أحكامه، ويستلهمون هداياته، ويُعْمِلُون أذهانهم في استنباط معانيه، ولا زالت معانيه تفيضُ، وبحاره تتجدد. وقد تكفل الله تعالي بحفظ هذا الكتاب العظيم؛ لذلك فقد سَخَّرَ الله لهذا الكتاب المخلصين من الأمة الذين قاموا على خدمة هذا الكتاب العظيم من دراسة، وتأليف، وبحث، وتنقيب في علومه بما يَخْدُمُ هذا الكتاب العظيم، وكان من علوم هذا القرآن العظيم: علما التفسير والوقف والابتداء؛ اللذان طالما سَخَّرَ لهما العلماءُ أوقاتهم، ومنحوهما العناية والرعاية العظيمة، فكان ممن هداهم الله لخدمة كتابه: الإمام العلامة عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، صاحب كتاب{المُكْتَفَى في الوقف والابتدا} الذي يُعَدُّ بحق كتابًا عظيمًا في علم الوقف والابتداء ومصدرا أساسيا من مصادره؛ جمع فيه أقوال علماء التفسير، واللغة، والقراءات، والوقف والابتداء، فكان حقا من أهم كتب الوقف والابتداء.

وعلمُ الوقف والابتداء فنٌ جليلٌ، به يعرف كيفية أداء القرآن، ويترتب على ذلك فوائدٌ كثيرةٌ، واستنباطات غزيرة، وبه تتبين معاني الآيات، ويُؤْمَنُ الاحتراز عن الوقوع في المشكلات(١).

ولأهمية هذا الموضوع وعظمته، وجدت نفسي شغوفا بالخوض في هذا البحر العظيم، لذا سأقوم بدراسة أقوال المفسرين في كتابه من ناحية أثرها في الوقف والابتداء.

---

(*) هذا البحث مستل من رسالة الماجستير الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان:[الأقوال التفسيرية وأثرها في الوقف والابتداء عند الإمام أبي عمرو الداني ت ٤٤٤هـ في كتابه المكتفى في الوقف والابتدا]، وتحت إشراف أ.د. إسماعيل فهمي عبد اللاه – كلية الآداب – جامعة سوهاج & أ.د. وجيه محمود أحمد - كلية الآداب- جامعة المنيا.

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٣٤٢/١).

**أهمية الموضوع:**

تتجلى أهمية هذا الموضوع فيما يأتي:

(١) المنزلة السامية التي يتبوأها هذا الموضوع، فهو يتعلق بكتاب الله تعالى؛ ولأنه يعين على فهم القرآن وتدبره وهو أولى ما تصرف إليه الهمم.

(٢) حيوية الموضوع، فهو يطرق تفسير كلام الله تعالى، وكيفية الوقف والابتداء فيه وهو مما حث النبي ﷺ على تعلمه.

(٣) تعلُّقُه بفهم مراد الله سبحانه؛ لأن الوقف يبين مراد المتكلم بكلامه، ويفصل بين معاني الكلام.

(٤) ارتباطه بعدد من العلوم المهمة والمفيدة؛ كالتفسير، والقراءات، والنحو، والفقه؛ مما يدل على أهميته.

(٥) أهمية هذه الدراسة في إبراز العلاقة بين علم التفسير وعلم الوقف والابتداء.

**سبب اختيار الموضوع:**

قد دعاني إلى اختيار هذا الموضوع عدة أمور، منها:

(١) أن هذا الموضوع جمع بين علمي التفسير والوقف والابتداء.

(٢) أن هذا البحث يتطلب النظر في كتب المحدثين والمفسرين، وفي هذا من النفع والفائدة ما لا يخفى.

(٣) الرغبة المُلِحَّة في الوقوف على دقائق الوقف والابتداء في هذا الكتاب.

(٤) عدم وجود مؤلَّف مستقل بالمكتبة الإسلامية يبين أثر التفسير في الوقف والابتداء عند أبي عمرو الدَّاني (المتوفى: ٤٤٤هـ) في كتابه: المكتفى في الوقف والابتدا.

(٥) جمع أقوال المفسرين في كتاب المكتفى التي لها أثر في أحكام الوقف والابتداء، ودراستها في بحث مستقل.

**أهدف البحث:**

يهدف هذا البحث إلى ما يلي:

(١) إبراز شخصية الإمام الدّاني في كتابه.

(٢) بيان مدى استيعاب هذا الكتاب لأقوال المفسرين.

(٣) بيان منهج الإمام الدّاني في عرض أقوال المفسرين ونسبتها إلى أصحابها.

(٤) إبراز أثر أقوال المفسرين في الوقف والابتداء عند الإمام الدّاني.

(٥) بيان أهمية تعلم الوقف والابتداء، ودراسته وفهمه.

**مشكلة البحث:**

بيان العلاقة بين علمي التفسير والوقف والابتداء، وبيان كيف استفاد الإمام أبو عمرو الدَّاني من أقوال علماء التفسير في تحديد نوع الوقف.

**منهج البحث:**

هذا وقد اقتضت طبيعة البحث اتباع منهج مناسب تتوافق أُسسه وخصائصه مع طبيعة الموضوع؛ لذلك لجأت إلى منهجيَّ (الوصف والتحليل) مع ما يلزم ذَلك من حصْرٍ ووصْفٍ وتصنيفٍ ونَقْدٍ وتحليلٍ وتعليلٍ.

على أن تتم مراعاة الخطوات الإجرائيَّة الآتية في تنفيذ المنهجيْن المذكوريْن:

١ – قمتُ بثبتِ رقم الآية، وذكر السورة التي وردت فيها والتزام الرسم العثماني في كتابتها.

٢- قمتُ بنقل نص كلام الدّاني في موضع الوقف، ثم نقل أقوال المفسرين، وعلماء اللغة، وعلماء الوقف والابتداء في هذا الموضع، ثم التعقيب والمناقشة والترجيح ما استطعت.

٣- قمتُ بتخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مظانها مع الحكم عليها ما أمكن، إلا ما كان في الصحيحين، أو أحدهما.

٤- قمتُ بتعريف الأعلام غير المشهورين تعريفًا موجزًا، والاكتفاء بالإشارة إلى مكان ترجمته في كتب التراجم والسِّيَر لمن أراد الاستزادة منها، وذلك في الموضع الأول من ذكرها.

٥ - قمتُ بعزو كل نقل إلى قائله، وإن كان منقولاً عن الصحابة والتابعين وتابعيهم فإني أجتهد في ذكر المصدر الذي يروي قولهم بالسند، فإن لم أجد ذكرتُ ما تيسر لي.

٦- قمتُ باستقراء المواضع التي ذكر فيها الإمام الدّاني أقوال المفسرين في كتابه وحصرها ودراستها دراسة وصفية منهجية.

٧- قمتُ بتعريف المصطلحات العلمية، وبيان الألفاظ الغريبة بالرجوع إلى كتب اللغة والمعاجم المتخصصة.

٨- قمتُ بتخريج الشواهد الشعرية الواردة في البحث من مصادرها المعتمدة.

٩- قمتُ بذكر المصادر والمراجع في الهامش باسم المرجع والمؤلف وذكر الطبعة والناشر وسنة النشر في الموضع الأول فقط، والاكتفاء بذكر المرجع فقط فيما بعد.

١٠-قمتُ بعمل فهارس فنية متنوعة للآيات، والمراجع، والموضوعات.

**حدود البحث:**

تقصي أكثر أقوالِ المفسرين المتعلقة بالوقف والابتداء في القرآن الكريم وأثرها في أحكام الوقف والابتداء، من خلال كتاب: «المكتفى في الوقف والابتدا» للإمام أبي عمرو الدَّاني (ت:٤٤٤هـ).

الفهارس: فهرس المصادر والمراجع

**المبحث الأول:**

أثر الأقوال التفسيرية عند الإمام الدّاني في الوقف القبيح، وفيه مطلب واحد: وهو من سمات المؤمنين أنّهم لا ينامون من الليل إلّا قليلاً:

قال تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الذاريات:١٧]

**العرض:**

قال الإمام الدّاني: «وقال يعقوب: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا﴾ [الذاريات:١٧] تام، وهو قول الضحاك، والمعنى: كان عددهم قليلاً، وقال الضحاك: كانوا قليلاً من الناس. والآية دالة على قلة نومهم لا على قلة عددهم.. والمعنى: كان هجوعهم أي نومهم قليلاً، وبذلك جاء التفسير، حدثنا محمد بن عبد الله قال: حدثنا أبي قال: حدثنا علي قال: حدثنا أبو داود قال: حدثنا ابن سلام في قوله: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات:١٧]. قال: تفسير الحسن يقول: كانوا لا ينامون إلا قليلاً»(١).

**التحليل:**

نقل الإمام الدّاني تمام الوقف على قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا﴾ [الذاريات:١٧] عن يعقوب وعن الضحاك، وذكر أنّ معنى الآية عند يعقوب: كان عددهم قليلاً، ووافقه الضحاك على هذا المعنى؛ فقال: كانوا قليلاً من الناس.

ثمّ ضعّف الإمام النحاس هذا الوقف واستشهد بمعنى الآية عند جمهور المفسرين؛ لأنّ الآية دالة على قلة نومهم لا على قلة عددهم، ومعناها: كان هجوعهم، أي: نومهم قليلاً.

**المناقشة:**

اختلف المفسرون، وأهل اللغة في معنى قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات:١٧] على أقوال:

(١) ينظر: المكتفى في الوقف والابتدا لأبي عمرو الداني (ص: ٢٠٤).

الأول: أنّ المعنى: كانوا لا ينامون قليلا من الليل، وقالوا: ﴿مَا﴾ [الذاريات:١٧] بمعنى الجحد، وقيل: كانوا يسهرون قليلا من الليل. وهو قول النخعي، وأبي العالية(١).

الثاني: أنّ المعنى: كانوا قليلا من الليل يهجعون(٢)، و ﴿مَا﴾ [الذاريات:١٧] صلة، ونصبت: ﴿قَلِيلًا﴾ [الذاريات:١٧]. والمعنى: كانوا يهجعون قليلا من الليل. ويجوز أن تكون:﴿مَا﴾ [الذاريات:١٧] في موضع رفع، والمعنى: كانوا قليلا هجوعهم، وهو قول الحسن(٣).

الثالث: أنّ المعنى: كان هؤلاء المحسنون قبل أن تفرض عليهم الفرائض قليلا من الناس، وقالوا الكلام بعد قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [الذاريات:١٦] وأنّ قوله: ﴿كَانُوا قَلِيلًا﴾[الذاريات:١٧] مستأنف بقوله: ﴿مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات:١٧] ؛ فالواجب أن تكون: ﴿مَا﴾ [الذاريات:١٧] على هذا التأويل بمعنى الجحد. وهو قول الضحاك(٤).

(١) ينظر: تفسير مجاهد (ص: ٦١٨)، معاني القرآن، للفراء(٨٤/٣)، مجاز القرآن(٢٢٦/٢)، جامع البيان، للطبري (٤٠٦/٢٢)، الكشف والبيان، للثعلبي (٥٢٣/٢٤)، الهداية ، لمكي (٧٠٧٩/١١)، المحرر الوجيز، لابن عطية (١٧٥/٥)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٣٦/١٧)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤١٨/٧)، روح المعاني، للألوسي (٩/١٤)، المحرر الوجيز، لابن عطية (١٧٥/٥).

(٢) الهجع: معناه النوم بالليل دون النهار. ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري (١٢٩/١).

(٣) ينظر: معاني القرآن، للفراء(٨٤/٣)، جامع البيان، للطبري (٤٠٨/٢٢)، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٥٣/٥)، الكشف والبيان، للثعلبي(٥٢٣/٢٤)، الهداية، لمكي (٧٠٧٩/١١)، البسيط، للواحدي (٤٣٦/٢٠)، زاد المسير، لابن الجوزي (١٦٩/٤)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٣٦/١٧)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (/٧ ٤١٨)، المحرر الوجيز، لابن عطية (١٧٥/٥).

(٤)ينظر: جامع البيان، للطبري(٤١٠/٢٢)، الكشف والبيان، للثعلبي(٥٢٢/٢٤)، الهداية ،لمكي (٧٠٧٩/١١)، البسيط، للواحدي (٤٣٦/٢٠)، زاد المسير، لابن الجوزي (١٦٩/٤)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٣٦/١٧)، تفسير ابن كثير(٤١٨/٧)، روح المعاني، للألوسي(٩/١٤)، المحرر الوجيز، لابن عطية(١٧٥/٥).

فعلى القولين الأول والثاني: يتم الكلام على قوله: ﴿يَهۡجَعُونَ﴾ [الذاريات:١٧] ، ومعناه: كانوا قليلًا من الليل الذي يهجعون، أي: كانوا قليلًا هجوعهم.

وعلى القول الثالث: يتم الكلام على قوله: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا﴾ [الذاريات:١٧]، ويكون: ﴿قَلِيلٗا﴾ [الذاريات:١٧] خبر كان، واسمها فيها، وما نافية، يعني: مثل هؤلاء المتقين كانوا قليلا. ثم أخبر عن أعمالهم، فقال: من الليل ما يهجعون يعني: لا ينامون بالليل(١).

وأكثر المفسرين(٢)، وعلماء الوقف والابتداء(٣) على أن هذا القولَ لا يَظهر من حيث المعنى؛ لأنّهم لا بد أن يهجعوا ولا يتصور نفي هجوعهم، كما أن الآية إنما تدل على قلة نومهم لا على قلة عددهم؛ فالغرض من الآية: أنهم يكابدون العبادة في أوقات الراحة وسكون النفس ولا يستريحون من مشاق النهار إلا قليلا.

ومما سبق يظهر للباحث أنّه لا وقف على قوله تعالى: ﴿قَلِيلٗا﴾ [الذاريات:١٧]، وهو الذي يظهر من فحوى كلام الإمام الدّاني، الذي رتّبه على أقوال المفسرين. والله أعلم.

**المبحث الثاني:**

أثر الأقوال التفسيرية عند الإمام الدّاني في وقف المعانقة، وفيه ثلاثة مطالب:

(١) ينظر: الكشف والبيان، للثعلبي (٥٢٠/٢٤)، الهداية، لمكي (٧٠٨١/١١)، مشكل إعراب القرآن، لمكي(٦٨٧/٢) البسيط، للواحدي (٤٣٧/٢٠)، المحرر الوجيز، لابن عطية (١٧٥/٥)، تفسير القرطبي (٣٦/١٧).

(٢) منهم: ابن عطية، والرازي، والقرطبي، وأبو حيان، والسمين، والألوسي، ومن المفسرين من لم يتعرض لهذا الوقف أصلا. ينظر: المحرر الوجيز (١٧٥/٥)، مفاتيح الغيب (١٦٧/٢٨)، الجامع لأحكام القرآن (٣٦/١٧)، البحر المحيط (٥٥١/٩)، الدر المصون (٤٥/١٠)، روح المعاني (٩/١٤).

(٣) منهم الأنباري، والنحاس، والداني، والأشموني، ولم يتعرض السجاوندي لهذا الوقف. ينظر: الإيضاح (٩٠٦/٢)، القطع (ص: ٦٨٤)، المكتفى (ص: ٢٠٤)، منار الهدى (٢٩٤/٢).

**المطلب الأوّل:**

تحريم دخول الأرض المقدّسة على بني إسرائيل:

قال تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المائدة:٢٦]

**العرض:**

قال الإمام الدّاني: «وقوله ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ في ذلك وجهان من التفسير والإعراب. من قال: إن التحريم والتيه كان أربعين سنة، وهو قول ابن عباس والربيع والسدي نصب ﴿ أَرْبَعِينَ ﴾ بـ ﴿ مُحَرَّمَةٌ ﴾ على تفسير ((التحريم)). فعلى هذا يكون الوقف على: ﴿ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ، وهو قول ابن عبد الرزاق وهو اختيار ابن جرير، وقيل الوقف على: ﴿ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ ثم يستأنف: ﴿ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ . ومن قال: إن ((التحريم)) كان أبداً وإن ((التيه)) كان أربعين سنة، وهو قول عكرمة وقتادة، نصب: ﴿ أَرْبَعِينَ ﴾ بـ ﴿ يَتِيهُونَ ﴾ ، فعلى هذا يكون الوقف على: ﴿ مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ وهو قول نافع ويعقوب والأخفش وأبي حاتم، وهو اختياري... قال الكلبي: لما قالوا ((لن ندخلها أبداً)) قال الله عز وجل ((فإنها محرمة عليهم أبداً)) وهم مع ذلك يتيهون في الأرض أربعين سنة. قال: فلم يدخلها أحد ممن كان مع موسى هلكوا أجمعين في التيه إلا رجلين يوشع بن نون وكالوب بن يوفنا»[(١)].

**التحليل:**

ذكر الإمام الدّاني في الآية موضعين للوقف، وبيّن أنّهما تابعان لاختلاف التفسير والإعراب: الأول: الوقف على قوله تعالى: ﴿ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ، وعلى هذا يكون التحريم والتيه أربعين سنة، وهو قول ابن عباس والربيع والسدي. الثاني: الوقف التام على قوله تعالى: ﴿ مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ ؛ فيكون ((التحريم)) أبداً و ((التيه))

(١) ينظر: المكتفى في الوقف والابتدا، لأبي عمرو الداني، (ص: ٥٩) وما بعدها.

أربعين سنة. وهو قول نافع ويعقوب والأخفش وأبي حاتم. واختار الدّاني هذا القول. وقوّاه بما نقله عن الكلبيّ.

**المناقشة:**

اختلف المفسرون في الناصب للظرف: ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ؛ وعليه فقد اختلفوا في مدة التحريم، والتيه على قولين:

الأول: أن المعنى: قال فإنَّها محرمة عليهم أبدًا، يتيهون في الأرض أربعين سنة. قالوا: ولم يدخُل مدينة الجبَّارين أحد منهم؛ وذلك أن الله ﷻ حرَّمها عليهم، وإنما دخلها من أولئك القوم الرجلان[١]. كما نُسب ذلك القول إلى ابن عباس، وقتادة[٢].

الثاني: إنّ الله ﷻ حرم على القوم الذين عصوه وخالفوا أمره من قوم موسى، وأَبَوا حرب الجبارين دخولَ مدينتهم أربعين سنة، ثم فتحها عليهم، وأهلك الجبارين بعد حرب منهم لهم، بعد أن انقضت الأربعون سنة، وخرجوا من التيه[٣].

وقد رجح عدد من المفسرين[٤] هذا القول؛ في حين رجح آخرون القول الأول[٥].

وهكذا يظهر لنا أثر التفسير في الوقف والابتداء؛ فعلى القول الأول: يكون التمام على قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ ويكون التحريم أبديا. وعلى القول الثاني: يكون الوقف على قوله: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ﴾، ويكون التحريم مؤقتا.

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري (١٩١/١٠)، الهداية، لمكي (١٦٦٩/٣)، معالم التنزيل، للبغوي (٣٧/٣)، زاد المسير، لابن الجوزي (٥٣٥/١) مفاتيح الغيب، للرازي(٣٣٥/١١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي(١٣٠/٦) البحر المحيط، لأبي حيان(٢٢٣/٤)تفسير القرآن العظيم، لابن كثير(٧٩/٣)، تفسير الشعراوي (٣٠٦٦/٥).

(٢) ينظر: جامع البيان ، للطبري(١٩١/١٠)، الهداية ، لمكي (١٦٦٩/٣)، الجامع لأحكام القرآن (١٣٠/٦).

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري (١٩١/١٠)، الهداية، لمكي (١٦٦٩/٣)، مفاتيح الغيب، للرازي (٣٣٥/١١)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي(١٣٠/٦)، البحر المحيط، لأبي حيان(٢٢٣/٤)، تفسير الشعراوي (٣٠٦٦/٥).

(٤) كالفراء، والطبري، وابن جزي، وأبي حيان. ينظر: المعاني(٣٠٥/١)، جامع البيان(١٩٧/١٠)، التسهيل(٢٢٨/١)، البحر المحيط (٢٢٣/٤).

(٥) كالزجاج. ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٦٥/٢).

والذي يراه الباحث ـ والله أعلم ـ أن القول بتاعنق الوقف هنا أولى؛ للجمع بين المعنيين، وهو الذي عليه العمل في معظم المصاحف(١).

**المطلب الثاني:**

أخذ العهد والميثاق من ذرّية نبيّ الله آدم عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف:١٧٢]

**العرض:**

قال الإمام الدّاني: « وقال أحمد بن موسى وأبو حاتم والأخفش وابن عبد الرزاق: (قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ ﴾ [الأعراف:١٧٢] كاف، فـ: ﴿شَهِدْنَآۛ ﴾ [الأعراف:١٧٢] على هذا من قول بني آدم، والمعنى: شهدنا أنك ربنا وإلهنا. وهو قول أبي بن كعب وابن عباس. وقال ابن الأنباري: ليس بوقف لأنّ: ﴿أَن ﴾ [الأعراف:١٧٢] متعلقة بالكلام الذي قبلها. وقال نافع ومحمد بن عيسى والقتبي والدينوري: التمام: ﴿قَالُواْ بَلَىٰۛ ﴾ [الأعراف:١٧٢] فـ: ﴿شَهِدْنَآۛ ﴾ [الأعراف:١٧٢] على هذا من قول الملائكة لما قال عز وجل لذرية آدم حين مسح ظهره وأخرجهم منه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ ﴾ [الأعراف:١٧٢]، فأقروا له بالعبودية. قال الله جل ذكره للملائكة: اشهدوا فقالوا: شهدنا. وهو قول مجاهد والضحاك والسدي، وقيل: هو من قول الله تعالى والملائكة، والمعنى: شهدنا على إقراركم، وهو قول أبي مالك. ويروى عن السدي أيضاً والمعنى: ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ [الأعراف:١٧٢]، عند الكوفيين: لئلا تقولوا. وعند البصريين: كراهة أن تقولوا... قال ابن عباس في هذه الآية: أهبط الله آدم عليه السلام، بالهند ثم مسح ظهره وأخرج منه كل نسمة هو خالقها يوم القيامة، ثم قال: ألست بربكم، قالوا بلى شهدنا. قال يحيى: وقال الكلبي: مسح ظهر آدم عليه السلام، فأخرج منه كل خلق هو خالقه ثم قال: ألست بربكم قالوا بلى. ثم قال للملائكة: اشهدوا فقالوا شهدنا. قال يحيى: قال الحسن: ثم أعادهم في صلب آدم عليه السلام»(٢).

(١) ينظر: جامع البيان (١٩٧/١٠)، التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي(٢٢٨/١).

(٢) ينظر: المكتفى في الوقف والابتدا، لأبي عمرو الداني، (ص: ٨٠).

**التحليل:**

أشار الإمام الدّاني في هذه الآية الكريمة إلى وقف التَّعانُق على قوله تعالى: ﴿شَهِدْنَآ﴾، فيصح اقترانه بما قبله والوقف عليه، فتقرأ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾، كما يصح الوقف على ما قبله، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾، ثُمَّ يكون الابتداء بقوله تعالى: ﴿شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾.

**المناقشة:**

للعلماء في تأويل هذه الآية اتجاهان مشهوران، ولا يتأتى التَّعانُق في الآية الكريمة إلا على واحد من هذين الاتجاهين:

الاتجاه الأوَّل: أنَّ معنى الآية الكريمة: أن الله ﷻ استخرج من أصلاب بنى آدم ذريتهم، وذلك الإخراج أنَّهم كانوا نطفةً فأخرجها ﷻ في أرحام الأمهات، وجعلها علقةً، ثُمَّ مضغةً، ثُمَّ جعلها بشراً سوياً، وخَلْقاً كاملاً مكلَّفاً.

وقوله: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: أشهدهم على أنفسهم بما ركَّب فيهم من دلائل وحدانيته وعجائب خلقه وغرائب صنعته، وبما أودع في قلوبهم من غريزة الإيمان وفي عقولهم من مدارك تهديهم إلى معرفة ربهم وخالقهم.

قال جار الله الزمخشريُّ (ت:٥٣٨هـ): «وقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ من باب التمثيل، ومعنى ذلك: أنَّه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته، وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركَّبها فيهم، وجعلها مميِّزةً بين الضلالة والهدى، فكأنَّه أشهدهم على أنفسهم وقرَّرهم وقال لهم: ألست بربكم؟ وكأنَّهم قالوا: بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا، وأقررنا بوحدانيتك، وباب التمثيل واسع في كلام الله ﷻ، وفي كلام رسوله ﷺ، وفي كلام العرب.

ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠]، وقوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت:١١]، ومعلومٌ أنَّه لا قولَ ثَمَّ، وإنَّما تمثيلٌ وتصويرٌ للمعنى»[1].

(١) ينظر: الكشاف، للزمخشري(٢/١٧٦-١٧٧).

فالكلام على سبيل المجاز التمثيلي؛ لكون النَّاس قد فطرهم الله ﷻ على معرفته والإيمان به، وجعلهم مستعدين جميعاً للنظر المؤدى إلى الاعتراف بوحدانيته، ولا إخراج للذرية، ولا قول، ولا إشهاد بالفعل(١).

الاتجاه الثَّاني: أنَّ معنى الآية الكريمة: أنَّ الله ﷻ مسح ظهر آدم عليه السلام، فأخرج منه ذريته كالذر، وأحياهم، وجعل لهم العقل والنطق، وقرَّرهم بربوبيته، فشهدوا له بذلك، وأخذ عليهم الميثاق، ثُمَّ أعادهم إلى ظهر أبيهم آدم عليه السلام(٢).

وإذ قد انتهينا من الإشارة إلى اتجاهَيْ العلماء في تأويل الآية؛ فقد آن الأوان أن نبين أنه لا يتأتى التَّعانُق في الآية إلا على الاتجاه الثَّاني الذي يتضمن سؤالاً وجواباً على الحقيقة، وسيتجلى ذلك بوضوح في ثنايا كلامنا الآتي عن توجيه الوقفين.

وجه الوقفين:

الوقف الأوَّل: على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ﴾، ويكون الابتداء بقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ ، فيكون قوله: ﴿شَهِدْنَآۛ﴾ من تمام كلام الذرية، يعني: أنَّ الله ﷻ لمَّا أشهدهم على أنفسهم، وقرَّرهم بربوبيته، فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ﴾ كان جوابهم: ﴿بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ﴾.

وعليه يكون الابتداء بقوله: ﴿أَن تَقُولُواْ﴾، وهو متعلق بفعل مضمر تقديره: فعلنا ذلك؛ لئلا تقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾(٣).

---

(١) ينظر: الكشاف، للزمخشري (١٧٦/٢) وما بعدها، تفسير الرَّازي (٣٩٧/١٥-٤٠٢)، أنوار التنزيل، للبيضاوي (٤١/٣)، مدارك التنزيل، للنسفي (٦١٦/١-٦١٧)، البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٢١٨/٥-٢٢٠)، إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٢٩٠/٣)، التفسير الوسيط، لطنطاوي (٤٣١/٥-٤٣٤).

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري ت/شاكر (٢٢٢/١٣-٢٥١)، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣٩٠/٢)، بحر العلوم، للسمرقندي(٥٦٣/١-٥٦٦)، التفسير البسيط، للواحدي (٤٤٣/٩-٤٥١)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٣١٨/٧)، فتح القدير، للشوكاني (٢٩٩/٢) وما بعدها.

(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكيّ بن أبي طالب (٢٦٣١/٤)، تفسير البغوي (٣٠٠/٣)، التفسير الكبير، للرازي (٤٠٢/١٥)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (٥١٣/٥)، المقصد لتلخيص ما في المرشد، للأنصاري (ص:٣٨)، منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، للأشموني (٢٨٢/١).

وهذا الوجه في الوقف هو مقتضى ترجيح ابن جرير الطَّبريّ (ت:٣١٠) في تفسيره، وذكر: «أنَّ الظاهر يدل على أنه خبرٌ من اللهﷻ عن قول بني آدم بعضهم لبعض؛ لأنَّه جلَّ ثناؤه قال: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ﴾ ، فكأنه قيل: فقال الذين شهدوا على المقرين حين أقروا، فقالوا: ﴿بَلَىٰۛ﴾ شهدنا عليكم بما أقررتم به على أنفسكم؛ كيلا تقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين»[(١)].

وهو اختيار جماعة منهم: الأخفش (ت:٢١٥)، وأبو حاتم السجستاني (ت:٢٥٥)، وابن مجاهد أحمد بن موسى (ت:٣٢٤)، وإبراهيم بن عبد الرزاق (ت:٣٣٩)[(٢)].

الوقف الثَّاني: على قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ )، ويكون الابتداء بقوله تعالى: ﴿شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ ، فيكون تمام كلام الذرية قولهم: ﴿بَلَىٰۛ﴾، ويكون قوله: ﴿شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ من كلام الملائكة، أو من كلام الله ﷻ وملائكته، فترتيب الكلام: أنَّ الله ﷻ لمَّا أخذ إقرار بني آدم بالربوبية قال للملائكة: اشهدوا عليهم، فقالت الملائكة: ﴿شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾.

فيتمُّ الوقف على: ﴿بَلَىٰۛ﴾؛ للفصل بين ما حُكي عن الذرية، وما حُكي عن الملائكة، وعليه يكون قوله: ﴿بَلَىٰۛ﴾؛ متعلقاً بقوله: ﴿شَهِدْنَآۛ﴾[(٣)].

ومما يقوّي هذا الوقف قراءة جمهور العشرة بتاء الخطاب في قوله: ﴿أَن تَقُولُواْ﴾، فالكل يقرؤها بتاء الخطاب إلا أبا عمرو البصري (ت:١٥٤)، فقد قرأها بياء

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري (٢٥٠/١٣).

(٢) ينظر: القطع والائتناف، لأبي جعفر النحاس(ص: ٢٦٥)، المكتفى في الوقف والابتدا، لأبي عمرو الداني (ص: ٨٠-٨١).

(٣)ينظر: التفسير البسيط، للواحدي(٤٥١/٩)، المحرر الوجيز، لابن عطية (٤٧٦/٢)، المرشد في الوقف والابتداء، للعماني (١٥٨-١٦٠)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٣١٨/٧)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي (٩٣/٣).

الغيبة، وقد أوجب أبو جعفر النَّحَّاس (ت:٣٣٨) الوقف على: ﴿بَلَىٰ﴾ لمن قرأ بتاء الخطاب كجمهور القراء[١].

وتابع مكيُّ بن أبي طالب أبا جعفر النَّحَّاس في ترجيح هذا الوقف، مستدلًّاً له بقراءة الجمهور بتاء الخطاب في: ﴿أَن تَقُولُواْ﴾[٢].

وهذا الوقف هو اختيار جماعة منهم: نافع (ت:١٦٩هـ)، ومحمد بن عيسى (ت:٢٥٣هـ)، والقتبي (ت:٢٧٦هـ)، والدينوري (ت:٣٣٦هـ)[٣].

وجوَّز السِّجاونديّ (ت:٥٦٠هـ) الوقفين، وإن مال إلى الأوَّل، وقال عن الثَّاني: إن فيه بُعداً[٤].

والذي يرجحه الباحث: هو جواز الوقف على الموضعين؛ لأنّنا إن وقفنا على ﴿بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ﴾ أفاد الوقف أنَّ الله ﷻ لمَّا أشهدهم على أنفسهم، وقرَّرهم بربوبيته، فقال: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ﴾ كان جوابهم: ﴿بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ﴾، فـ ﴿شَهِدۡنَآۚ﴾ من تمام كلام الذرية.

وإذا اكتفينا بالوقف على ﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ﴾، فآخر كلام الذرية قولهم: ﴿بَلَىٰ﴾، و﴿شَهِدۡنَآۚ﴾ من كلام الملائكة، أو من كلام الله ﷻ وملائكته، فالله ﷻ لمَّا أخذ إقرار بني آدم بالربوبية قال للملائكة: اشهدوا عليهم، فقالت الملائكة: ﴿شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾.

وهكذا يظهر لنا أثر المعنى التفسيري على الوقف والابتداء، بحيث أفاد اختلاف القائل إلى اختلاف المعنى؛ وإعمال المعنيين أولى من إعمال أحدهما وإهمال الأخر. والله أعلم

(١) ينظر: السبعة في القراءات، لابن مجاهد (ص: ٢٩٨)، القطع والائتناف، لأبي جعفر النحاس (ص: ٢٦٥)، النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري (٢٧٣/٢).

(٢) ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية، لمكيّ بن أبي طالب (٢٦٣١/٤).

(٣) ينظر: القطع والائتناف، لأبي جعفر النحاس (ص: ٢٦٥)، المكتفى في الوقف والابتدا، لأبي عمرو الداني (ص: ٨٠-٨١).

(٤) ينظر: علل الوقوف، للسجاوندي (ص: ٥٢٢-٥٢٣).

**المطلب الثالث:**

الصدّيقون والشُهَدَاءَ لهم أجرهم ونورهم عِنْدَ رَبِّهِمْ:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾ [الحديد:١٩]

**العرض:**

قال الإمام الدّاني: «﴿هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد:١٩] تام على قول من جعل قوله: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الحديد:١٩] ابتداء وخبره في المجرور في قوله: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد:١٩]. ومن جعل ذلك نسقاً على: ﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد:١٩] فالتمام: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الحديد:١٩]. والأول قول ابن عباس ومسروق، والثاني قول مجاهد والضحاك... عن البراء عن النبيﷺ قال: (مؤمنو أمتي شهداء)[١] ثم تلا الآية إلى: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الحديد:١٩]... عن الحسن قال: من سأل اللهﷻ الشهادة مخلصاً من قبله ثم مات على فراشه فهو شهيد[٢]. ثم تلا هذه الآية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد:١٩]»[٣].

---

(١) أخرجه الطبري عن البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "مؤمنو أمتي شهداء". قال: ثم تلا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذه الآية {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ}. ينظر: تفسير الطبري، (١٩٢/٢٣). وحكم عليه ابن كثير فقال: هذا حديث غريب. ينظر: تفسير ابن كثير (٢٣/٨). وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٢٥٦/٦)، وعزاه لابن جرير.

(٢) الحديث: قال رسول اللهﷺ: (مَن سألَ اللَّهَ الشهادةَ بصدقٍ، بَلَّغَهُ اللَّه منازِلَ الشهداءِ وإنْ ماتَ على فراشِهِ). أخرجه مسلم من رواية سهل بن حُنَيْف -رضي اللَّه عنه- مسلم في الصحيح (١٥١٧/٣)، كتاب الإمارة (٣٣)، باب استحباب طلب الشهادة. ورواه عن سهل بن حُنَيْف: أبو داود (١٥٢٠)، والترمذي (١٦٥٣)، والنسائي (٣٦/٦ - ٣٧).

(٣) ينظر: المكتفى في الوقف والابتدا لأبي عمرو الداني (ص: ٢١٢).

**التحليل:**

ذكر الإمام الدّاني في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد:١٩] موضعين للوقف، وبيّن أنّهما تابعان لاختلاف التفسير:

الأول: تمام الوقف على قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد:١٩]؛ على قول من جعل قوله: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الحديد:١٩] ابتداء وخبره قوله: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد:١٩].

الثاني: تمام الوقف على قوله تعالى: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الحديد:١٩]؛ على قول مَن جعل ذلك نسقاً على: ﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد:١٩].

ورجّح الوقف الثاني، واستدلّ عليه بما روي عن البراء ﷺ عن النبي ﷺ قال: (مؤمنو أمتي شهداء) ثم تلا الآية إلى: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الحديد:١٩]. وبقول الحسن: من سأل الله ﷻ الشهادة مخلصاً من قبله ثم مات على فراشه فهو شهيد. ثم تلا هذه الآية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد:١٩].

**المناقشة:**

جوّز أهل التأويل في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد:١٩] وجهين:

الأوّل: جواز أنّ يكون قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ [الحديد:١٩] معطوفاً على ما قبلَه؛ ويكون الوقفُ على: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ [الحديد:١٩] تاماً. أخبر عن الذين آمنوا أنهم صِدِّيقون شهداءُ. وتَخْصِيصَهم بالذِّكْر لشَرَفِهم على غيرِهم لا للحَصْر. والثاني: أنه مبتدأٌ، وفي خبرِه وجهان، أحدهما: أنه الظرفُ بعده. والثاني: أنه قوله تعالى: ﴿لَهُمْ

﴿أَجۡرُهُمۡ﴾ [الحديد:١٩] إمَّا الجملةُ، وإمَّا الجارُّ وحدَه، والمرفوع فاعلٌ به. ويكون التمام في الوقف على: ﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد:١٩][(١)].

ومنشأ ذلك: أنّ قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡ﴾ [الحديد:١٩] في تفسيرها طريقان:

أحدهما: أن الآية عامة في كل من آمن باللهﷻ ورسولهﷺ. وقالوا: كل من آمن باللهﷻ ورسولهﷺ فهو صديق، ومعنى: قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد:١٩]: هم الموحدون. ويترتّب على ذلك تمام الوقف على قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ [الحديد:١٩]؛ لأنّه عندهم معطوفٌ على ما قبله، والتقدير: إن الذين آمنوا بالله ورسله هم الصديقون وهم الشهداء؛ لأنّهم يرون أنّ كل مؤمن صديق وشهيد، وأنّ الشهداء هم الصديقون. فيكون معنى الآية على ذلك: أولئك هم الصديقون وأولئك هم الشهداء عند ربهم، ويكون: ﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡ﴾ [الحديد:١٩] للجماعة من الصديقين والشهداء[(٢)].

وثانيهما: أن الآية خاصة. قالوا: ﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد:١٩] هم الذين لم يشكوا في الرسل ساعة حين أخبروهم، وآمنوا بهم حين أتوهم ولم يكذبوهم قط: مثل حديث آل ياسين، ومؤمن آل فرعون، وأبي بكر الصديق. ويترتّب على ذلك تمام الوقف على قوله تعالى: ﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد:١٩]؛ على أنّ قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [الحديد:١٩] مستأنفة للشهداء خاصة، والشهيد عندهم: من استشهد في سبيل اللهﷻ. والمعنى: أنّ الكلام انقطع عند قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد:١٩] ثمّ استأنفﷻ للشهداء، يعني: من استشهد في سبيل اللهﷻ؛ فقال: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡ﴾ [الحديد:١٩]؛ فهي بذلك مفصولة عمّا قبلها ولم تنسق عليها، ورُفع قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ [الحديد:١٩] بقوله تعالى: ﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ [الحديد:١٩][(٣)].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري(١٩١/٢٣)، التفسير البسيط(٢٩٧/٢١) وما بعدها، الدر المصون (٢٤٩/١٠)، تفسير الرازي (٤٦٢/٢٩)، البحر المحيط في التفسير (١٠٩/١٠).

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية (٢٦٥/٥)، تفسير الألوسي (١٨٢/١٤).

(٣) ينظر: تفسير ابن عطية (٢٦٦/٥)، منار الهدى في بيان الوقف والابتدا (ص: ٧٦٧).

واحتج الإمام الطبري للوجهين، ومال إلى القول الأوّل؛ فقال: إنّ الكلام والخبر عن الذين آمنوا، متناه عند قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد:١٩]، وإن قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الحديد:١٩] خبر مبتدأ عن الشهداء؛ لأن ذلك هو الأغلب من معانيه في الظاهر، وأنّ الإيمان غير موجب في المتعارف للمؤمن اسم شهيد لا بمعنى غيره، إلا أن يُراد به شهيد على ما آمن به وصدّقه، فيكون ذلك وجهاً، وإن كان فيه بعض البعد، لأن ذلك ليس بالمعروف من معانيه، إذا أطلق بغير وصل(١).

والذي يراه الباحث راجحاً: أن القول بتعانق الوقف هنا أولى؛ للجمع بين المعنيين؛ فقوله تعالى: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد:١٩] يصلح أن يكون كلاماً مسْتَأنفاً مرفوعاً بالابتداء، فيكون المعنى: والشُهَدَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ لهم أجرهم ونورهم. والشهداء هم: الأنبياء، أو من استشهد في سبيل اللهﷻ. ويجوز أن يكون: قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ [الحديد:١٩] نسقاً على ما قبله؛ فيكون المعنى: أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وأولئك هم الشهداء عند رَبِّهِمْ، ويكون قوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد:١٩] للجماعة من الصديقين والشهداء(٢).

قال الطاهر ابن عاشور: «﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد:١٩]: يجوز أن يكون عطفاً على: ﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد:١٩] عطف المفرد على المفرد؛ فهو عطف على الخبر، أي: وهم الشهداء... ويجوز أن يكون قوله: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾[الحديد:١٩] مبتدأ وجملة: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد:١٩] خبر عن المبتدأ؛ ويكون العطف من عطف الجمل فيوقف على قوله: ﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد:١٩]؛ فيكون انتقالا من وصف مزية الإيمان باللهﷻ ورسولهﷺ إلى وصف مزية فريق منهم استأثروا بفضيلة الشهادة في سبيل اللهﷻ...فالشهداء إذن هم المقتولون في الجهاد في سبيل اللهﷻ. والمعنيان من الشهداء ممكن الجمع بينهما؛ فتحمل الآية على إرادتهما على طريقة استعمال المشترك في معنييه»(٣).

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٩٣/٢٣).
(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١٢٦/٥)، تفسير أبي السعود، (٢١٠/٨).
(٣) ينظر: التحرير والتنوير(٣٩٧/٢٧) وما بعدها.

**فهرس المصادر والمراجع(١):**

**أ: كتب التفسير وعلوم القرآن:**

-البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
-التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم –بيروت، الطبعة: الأولى -١٤١٦ هـ.
-التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨ هـ)، تحقيق: لجنة علمية بجامعة الإمام محمد، الناشر: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.
-التفسير الوسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨ هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض، وآخرون، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ -١٩٩٤ م.
-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.
-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٥ هـ.
-السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن العباس، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف، مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ.
-القطع والائتناف، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النَّحَّاس، تحقيق: أحمد خطاب العمر، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة القاهرة: (١٣٧٦هـ-١٩٧٦م)، وتحقيق: عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب -المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ.
-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٠٧هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام ابن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى -١٤٢٢ هـ.
-مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له:

(١) رتّبتها حسب موضوعاتها، كما قمت بترتيبها داخليا ترتيبا هجائيا، مع عدم اعتبار (أل)، وهمزة الوصل.

محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
-مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت- الطبعة: الثانية ١٤٠٥هـ.
-معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، تحقيق: أحمد النجاتي، ومحمد النجار، وعبد الفتاح شلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة –مصر، ط:١.
-معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى -مكة المرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.
-المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ)، الناشر: دار المصحف، الطبعة: الثانية: ١٤٠٥ هـ.
-المكتفى في الوقف والابتدا، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، تحقيق: محيي الدين رمضان، الناشر: دار عمار، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ -٢٠٠١ م.
-مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي –بيروت ط:٣ -١٤٢٠ هـ.
-منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الأشموني المصري الشافعي (المتوفى: نحو ١١٠٠هـ)، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث-القاهرة، مصر:٢٠٠٨.
-النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، (المتوفى: ٨٣٣ هـ)، تحقيق: على الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ)، الناشر: المطبعة التجارية الكبرى.
-الهداية إلى بلوغ النهاية، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي -جامعة الشارقة، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة -كلية الشريعة -جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ -٢٠٠٨ م.

**ب: كتب الحديث وعلومه:**

١-الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن –الهند، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م.
٢-السنن الصغير للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي- باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ -١٩٨٩م.

٤-سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، وآخرون، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي –مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ -١٩٧٥ م.
٥-صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٦-صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت.
٨-مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٦هـ.

**ج: كتب الغريب والمعاجم:**

-تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
-لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر: بيروت، الطبعة: الثالثة :١٤١٤ هـ.
-معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

**كتب التراجم والطبقات:**

-الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر -مايو ٢٠٠٢ م.
-سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الحديث-القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
-معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، الناشر: مكتبة المثنى -بيروت، دار إحياء التراث.
-الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، :١٤٢٠هـ.